وفي الأول من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٦٩ وبمناسبة الذكرى السنوية الرابعة لإعلان الكفاح المسلح، أصدرت اللجنة المركزية لفتح بياناً جاء فيه، بصورة خاصة[١٦]: ان الحركة لا تكافح ضد اليهود بصفتهم فئة عرقية أو دينية. انها تناضل ضد اسرائيل المجسِّدة لاستعمار مرتكز إلى نظام تكنوقراطي عنصري وتوسعي، والمجسدة للصهيونية والاستعمار.

ويقول البيان، في مكان آخر: ان حركة التحرر الوطني الفلسطيني «فتح» تعلن على الملأ ان الهدف النهائي لنضالها هو إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة والديمقراطية التي يتمتع جميع مواطنيها، مهما تكن طوائفهم، بحقوق متساوية.

وفي ختام الدورة الخامسة للمجلس الوطني الفلسطيني ــ التي سيطرت فيها فتح على اللجنة التنفيذية وأصبح ياسر عرفات رئيساً لهذه اللجنة ــ اتخذ قرار سياسي ورد فيه ان هدف الشعب الفلسطيني هو «اقامة مجتمع ديمقراطي حر في فلسطين بجميع الفلسطينيين، مسلمين ومسيحيين ويهوداً، وانقاذ فلسطين وشعبها من سيطرة الصهيونية العالمية...»[١٧].

وتجدر الاشارة إلى أن النص المذكور لا يشير صراحة إلى الدولة الفلسطينية. ويبدو ان منظمة التحرير لم تشر للمرة الأولى إلى الدولة الديمقراطية إلّا بدءاً من نيسان (ابريل) ١٩٦٩[١٨].

في غضون ذلك، كان النقاش قد أخذ مجراه على نطاق واسع في المنظمات الفلسطينية. وأثار مشروع الدولة الديمقراطية خلافات ومواقف متعاكسة، حتى داخل فتح. ومن الفائدة بمكان، ان نعرض الآن ما هي المواضيع التي انتظم حولها النقاش. غير أننا نشير، قبل ذلك، الى أنه حتى يومنا هذا لا تظهر فكرة الدولة العلمانية في أي من وثائق فتح. وهي المسألة التي ستكون لنا عودة اليها.

النقاش بخصوص الدولة: ما من شك على الاطلاق، بأن المعارضة الأولى والأكثر عنفاً لقيتها حركة فتح من جانب «القوميين»، اولئك الذين لا يقبلون أصلاً بفكرة الدولة الفلسطينية المستقلة.

إن الجدال بشأن الروابط بين الوطنية الفلسطينية والقومية العربية يعود إلى تاريخ نشوء الشعور الوطني في فلسطين. ومنذ الاحتلال البريطاني للقدس، في نهاية عام ١٩١٧، وبشكل خاص في نهاية الحرب، برزت اتجاهات لتوحيد فلسطين وسوريا من قبل الملك فيصل[١٩]. وسيطر النزوع إلى إقامة ما سميّ بـ«سوريا الجنوبية» على الحركة الفلسطينية لغاية العام ١٩٢٠. اما تفسير ذلك فليس نابعاً من الشعور بالانتماء إلى كيان واحد، بمقدار ما هو نابع من الصراع مع الصهيونية ومع وعد بلفور. وكان الأمير فيصل، نجل الشريف حسين، قد استقر في حكم سوريا وطمح الى بناء حكومة مستقلة. والبيان الانكليزي ــ الفرنسي الصادر في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ يعلن ان الحلفاء في